جغرافية الوطن والعلاقة التفاعلية

بقلم: د. ليلى صالح محمد زعزوع (•)

في يومنا الوطني السعودي ندخل عهداً جديداً مع ملك جديد، نسترجع من خلاله جانباً من أحداث تاريخ أمتد لأكثر من مئة عام، منذ استرداد الرياض (النواة) كمحصلة مكانية لقيام المملكة العربية السعودية، الذي رسم لنا صورة عريضة لكيان المملكة العربية السعودية، الذي نما وترعرع في بذرة أرضية، نشأت ونمت مع السنين، حتى كونت لنا الكيان السياسي بالثبات والاستمرار لأجيال وأجيال.

وقد قضى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، ما يقارب الثلاثين عاماً في بناء هذا الكيان، منذ تأسيسه عام ١٩٠٢م/١٣١٩هـ، عند استرداده للرياض، حتى إعلانه للدولة ككيان سياسي موحد عام ١٩٣٢م/١٣٥١هـ، ثم استمرار خلفائه من بعده في تقويم هذا الكيان وتطويره، من خلال عمليات البناء والتنمية المتلاحقة.

وقد استطاعت الدولة السعودية الناشئة أن تبسط نفوذها على نطاقها الإقليمي تدريجياً، ثم استمرت راسخة شامخة رغم تعقد الأوضاع السياسية في شبه الجزيرة العربية وتجزؤها في ذلك الوقت بين كيانات متصارعة.

الزمن إذاً هو البعد الأساسي الذي نحكمه من خلال ماضي وحاضر المملكة العربية السعودية، بالتركيز على العلاقة التفاعلية بين البيئة والمجتمع، في تجربة سياسية رائدة تكونت في إطار زمني ومكاني محدد، وارتبطت بسلوكيات بشرية ذات أهداف وطنية وسياسية موحدة، أفرزت لنا كياناً سياسياً متميزاً ومستقراً وثابتاً نحتفل به في كل عام بيومنا الوطني فيه.

إن تحليل الكيان السعودي السياسي المعاصر، تبلور في شخصية هذا الكيان في نواته الأصلية (مدينة الرياض)، فهي الركيزة التي انطلق منها التاريخ، وهي الأصالة التاريخية الممتدة في بيعة الشعب للملك عبدالله في قصر الحكم بالذات بالرياض لتعبر عن المواطنة والولاء، وهو الركيزة التي نلمس منها عبق التاريخ وأصالته عبر السنين.

مبايعة الشعب لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز تجلى فيها دعم الوحدة الوطنية وتحديات القرن (٢١) وحماية المكتسبات التي تحققت منذ تأسيس المملكة ١٣٥١هـ.

إذاً فنحن أمام واقع من جغرافية الجذور، أو تتبع الماضي، وربطه بالحاضر، بتنظير سياسي لمفهوم جغرافي واقعي، يضيف أبعاداً وآفاقاً تحفظ لنا أصالتنا، في تاريخنا السياسي والجغرافي. وإن فهم عملية البناء السياسية، أو التكوين المكاني للدولة، يبرز خصائص السمات المكانية لنواة المملكة العربية السعودية، ولخاصيتها المكانية كمحصلة جغرافية لمنظومة مكانية، من حيث نمو المملكة العربية السعودية من حولها، ودورها التاريخي عند نشأة وتكوين الدولة؛ فالنواة بمثابة منطقة النفوذ، وبخاصة عندما يستمر دور النواة أكثر من مئة عام عبر الزمن، وتمثله مدينة الرياض، منذ استردادها عام ١٣١٩ وحتى يومنا هذا؛ لتميزها بالتالي:

١) تتميز الوحدة السياسية السعودية عن غيرها من الوحدات السياسية في العالم، بأنها قامت على ثوابت راسخة، مستندة إلى التشريع الإلهي والسنة النبوية المطهرة، فأكسبت المملكة العربية السعودية خاصيتها المميزة كشخصية سياسية منفردة.

هذا الوطن الأشمّ، المملكة العربية السعودية، انطلق تاريخه الحديث من مدينة الرياض على يد الملك المؤسس -يرحمه الله- إلى أن وصل في أصالة تاريخية ممتدة إلى عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز - يحفظه الله-.

٢) وضحت مبايعة الشعب في العهد الجديد للملك عبدالله دعم الوحدة الوطنية، وتحديات القرن الحادي والعشرين، وحماية المكتسبات التي تحققت خلال الزمن، عبر مسيرة البناء، وتنمية شعور المواطنة والولاء للوطن الذي تجسد في البيعة، فقد وضح لنا أن كل فرد قدر مسؤولياته وواجباته تجاه وطنه. فمشهد البيعة الذي كان على مرأى العالم مشهد رائع فيه إحياء لشعيرة من شعائر الولاية العامة في الإسلام وثمرة من ثمار تحكيم شرع الله في المجتمع.

٣) والبيعة التي رأيناها للملك عبدالله تمثل حدثاً عظيماً في تاريخ المملكة دينيا وتاريخيا وحضاريا والبيعة التي تمت تطبيق فعلي لما تدعو إليه الشريعة الإسلامية بتطبيق الإسلام منهجا وأسلوباً. ومن عقيدة المسلم من أهل السنة والجماعة ألا يموت وليس في ذمته بيعة، والبيعة تجسيد للحب الصادق والوفاء بين الراعي والرعية.

إذاً نحتفل باليوم الوطني في عهده الجديد الميمون؟

نعم، على كتاب الله وسنة رسوله.

(*) كاتبة وأستاذ مشارك بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة